

القمة البارحة

للجبال قمة باردة تعلوها الثلوج وللمعرفة كذلك قمة باردة تفتت عندها الحياة. فإذا نظر الإنسان إلي حقائق الأشياء لم ير شيئاً ولم يشعر بشيء لأن حقيقتها كلها أنها ذرات ترجع إلي حركة متشابهة في كل ذرة. فخير له ألا ينظر إلي الحقائق كل النظر ولا يعرض عن الظواهر كل الإعراض، لأن الحي لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التي تقع عليها الحواس وتدركها البديهة، فإذا تجاوز ذلك فقد ارتفع من المعرفة إلي قمته الباردة التي لا يشعر فيها بحياة.

إذا ما ارتقيت رفيع الذرى فإياك والقمة الباردة^(١)
هنالك لا الشمس دواره ولا الأرض ناقصة زائدة
ولا الحادثات وأطوارها مجددة الخلق أو بائدة^(٢)
قوالب يلتذ تقليبها أناسٌ وتبصرها جامدة
ويعجب قوم بترقيشها وألوانها أبداً واحدة^(٣)
وتعلو وتهبط جدرانها وأساس جدرانها قاعدة^(٤)
ويا بؤس فان يرى ما بدا من الكون بالنظرة الخالدة
فذلك رب بلا قدرة وحيٌ له جثة هامدة

(١) الذرى : جمع ذرة وهي القمة العالية. (٢) بائدة : زائلة وهالكة.
(٢) الترقيش : التزيين والتلوين. (٤) أساس : جمع أس وهو قاعدة البناء.